

وما سواها (322)



د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

السلوك الطائفي!!

هل أن الطائفية من طبائع السلوك البشري ؟

أم سلوك نتعلمه منذ صغرنا , وننشأ عليه ولا نعرف سلوكا سواه , برغم ما يجلبه علينا من الأوجاع والملمات الإجتماعية الدامية؟

هل الطائفية سلوك يمكن أن نغيره؟

علينا أن نسأل أنفسنا ونستحضر مبادئ ديننا وأخلاقنا وتقاليدينا ونجتهد بالجواب.

ترى كيف يتحول أبناء الدين الواحد إلى طوائف متناحرة , وأصحاب الألوان المختلفة إلى أعداء؟ إن الموضوع قد يكون معقدا والجواب فيه صعوبة , لكن البشر يبحث عن الجواب ليزيل غشاوات الجهل والإنفعال والإضطراب.

يبدو لمن يتأمل التاريخ ومعايير السلوك البشري عبر مراحل الزمنية الطويلة , أن النسبة العظمى من السلوك مكتسبة , أي يتعلمها البشر من محيطه الذي يتعرع فيه. فلا توجد جينات طائفية , بل جينات بشرية تنزع في تأثيراتها لتحقيق الاختلافات اللازمة للحياة وتواصل النوع البشري.

وبعض البشر يميل إليها إعتامادا على عاهات شخصية , خصوصا المصابون بإضطراب الشخصية اللا إجتماعية , الذين مات في أعماقهم الضمير , ولا توجد قوة في داخلهم تحاسبهم على أعمالهم. فهم بلا ضمير يؤنبهم ويسألهم , فيعيثون فسادا , وإذا امتلكوا قوة خربوا ودمروا وأهانوا العباد , لتحقيق حاجاتهم النفسية الخفية.

ففي الكثير من السلوكيات الطائفية نوازع غير سوية أو باثولوجية , وشرة مطلق للجريمة وسفك الدماء , والشعور بالقوة والسيطرة والجبروت.

وبصورة عامة فهذه السلوكيات التي يفرزها المجتمع ويصيب بها أعضائه , يكتسبها من الآخرين المصابين بإضطرابات سلوكية خطيرة , وتحولوا إلى رموز لفئة أو قوة ما.

فالبشر يتعلم بالتقليد وبالملاحظة , وعندما يقوم هؤلاء بتلك السلوكيات ويحصدون من ورائها ما يعززها من المحفزات , فإن الآخرين يعيدونها ويكررون سلسلة مآسيها ودماراتها , وتتحقق في داخلهم قوة رافضة للآخر.

أي أنهم يميلون إلى الإنغلاق , والتوهم بأن ما يقومون به عين الحقيقة ولا شائبة عليه , ولا يحق لأحد

هل أن الطائفية من طبائع السلوك البشري ؟ أم سلوك نتعلمه منذ صغرنا , وننشأ عليه ولا نعرفه سلوكا سواه , برغم ما يجلبه علينا من الأوجاع والملمات الإجتماعية الدامية؟

هل الطائفية سلوك يمكن أن نغيره؟ علينا أن نسأل أنفسنا ونستحضر مبادئ ديننا وأخلاقنا وتقاليدينا ونجتهد بالجواب

إن الموضوع قد يكون معقدا والجواب فيه صعوبة , لكن البشر يبحث عن الجواب ليزيل غشاوات الجهل والإنفعال والإضطراب

لا توجد جينات طائفية , بل جينات بشرية تنزع في تأثيراتها لتحقيق الاختلافات اللازمة للحياة وتواصل النوع البشري

أن يحتاج فيه , لأنه قد تحول إلى وجود مقدس في أعماقهم , مما يتسبب في المزيد من الولايات والجراحات وسفك الدماء .

ويصابون بداء مثالية السلوك الخبيث.

ويتعلمون ترسيخ هذه السلوكيات بتكرار مشاهدتها , وتنامي المردودات المشجعة عليها , وتحولها إلى قيمة إجتماعية ذات أثر معنوي كبير على الفرد والعائلة.

فيحسبون جميع الأواني إناءً واحداً , ولا يفكرون بما يحوي الإناء , أي يميلون إلى التعميم القاسي المشين .

ومن هنا تنشأ الكراهية والحقد والبغضاء ومعطياتها السلبية , التي تعمي البصيرة وتشل الأبصار , وتحول البشر إلى مخلوق عدواني متوحش , ومفترس كاسر لأخيه .

فالطائفية بهذا المعنى إضطراب سلوكي . يجعل البشر يعامل بعضهم البعض بكراهية وجهل , إعتياداً على أفكار وتطلعات عدوانية هائجة , تفور في دنياه وتعززها خرافات وتصورات وإدعاءات معدومة البراهين .

فهي أضاليل إختمرت في جهاز البشر المتحكم بغريزة الخوف والبقاء , الذي يدفع إلى التوحش وردود الأفعال الغير متناسبة مع الموقف أو الحالة القائمة .

أي أنها قد تؤدي إلى سلوك دموي مروّع , للتعبير عن الخوف من الخوف المقيت .

وهي سلوك مكتسب نتعلمه من خلال نشاطاتنا المتنوعة , ويتم إستخدامه لإيقاع المزيد من الولايات بين الناس , وتحقيق أغراض سياسية مغرضة .

فنتعلم كيف نكره الآخر ونخافه , وربما بعناية فائقة وقصد مبرمج دون شعور منا , سوى أن ما نتعلمه يعزز الشعور بالانتماء إلى تلك الفئة أو الجماعة .

وكلما أسرفنا في التخندق فيها , إزداد خوفنا وكراهيتنا للآخر , وصار رد فعلنا تجاهه فعل تدمير وقتل , للشعور بالخوف الشديد منه والكراهية الحمقاء له .

إن البشر الذي لا يمتلك هذه الأحاسيس المعوّقة يعيش في مجتمعات متفاعلة , ويشعر بالقوة والأمن والأمان , ويحقق إبداعاً خلاقاً ويؤسس لحضارة متطورة يسودها العدل والقانون .

أما المصابون بهذا الداء فيمضون حياتهم في رعب وتدهور , وإنهيارات متلاحقة وضعف متواصل يؤدي بهم إلى حيث الخسران .

وقد تلعب أدوراً في هذه السلوكيات , القوى الساعية لإمتلاكها , والخوف الشديد من ضياعها أو فقدها , ويتم إثارتها بإستثمار مواطن الإختلاف , وكأن البشر خلقوا كفرد واحد بلسان وعقل ولون واحد لا غير .

إن وعي مفردات هذا السلوك , وإحباط مبررات تعلمه , وإستهجان ما يشير إليه سواء في البيت أو المدرسة أو المجتمع , والصحف ووسائل الإعلام , وإسقاط مفرداته من معجم التخاطب بين الناس , يساهم بعلاجه والوقاية منه , لأن المجتمع لا يجني منه إلا الضرر .

فعلينا أن نرفض منطقته , وندينه بشدة , ونتجنب مفرداته , ونحذره أشد الحذر .

وعلى الرموز المتنوعة في أي مجتمع أن تتأى عن المنطق التفريقي التدميري للمجتمع الذي هي فيه .

وتشجع على التواصل والتفاعل والتفاهم , وتبادل وجهات النظر , لكي تصنع سبيكة إجتماعية قوية تسعد أبناء المجتمع كافة .

ففي الكثير من السلوكيات  
الطائفية نوازع غير سوية أو  
بأنولوجية , وشرة مطلق للجريمة  
وسفك الدماء , والشعور بالقوة  
والسيطرة والجبروت

الطائفية بهذا المعنى إضطراب  
سلوكي . يجعل البشر يعامل  
بعضه البعض بكراهية وجهل .  
إعتياداً على أفكار وتطلعات  
عدوانية هائجة

كلما أسرفنا في التخندق فيها ,  
إزداد خوفنا وكراهيتنا للآخر ,  
وصار رد فعلنا تجاهه فعل تدمير  
وقتل , للشعور بالخوف الشديد  
منه والكراهية الحمقاء له

إن وعي مفردات هذا السلوك  
, وإحباط مبررات تعلمه ,  
, وإستهجان ما يشير إليه سواء في  
البيت أو المدرسة أو المجتمع ,  
والصحف ووسائل الإعلام ,  
, وإسقاط مفرداته من معجم  
التخاطب بين الناس , يساهم  
بعلاجه والوقاية منه

أبناء الدين الواحد أخوة ,  
كالجسد الواحد إذا اشتكى منه  
عضو تداعى له سائر أعضاء  
الجسد بالسهر والحمى

إن الذات عليها أن تستيقظ , والعقل أن يفتح , ولننادي كلنا أبناء وطن واحد , نساهم في بنائه وتحقيق السعادة لنا وللأجيال من بعدنا.

فأبناء الدين الواحد أخوة , كالجسد الواحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمى.

ولنعصم بحبل الله جميعا ولا نتفرق ونكون إخوانا.

"أيها الناس إنما المؤمنون أخوة..."

"أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم..."

"أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لأدم وآدم من تراب. أكرمكم عند الله أتقاكم..."

"ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم"

إن اختلاف البشر آية من آيات الخلق وإعجاز الصيرورة والوجود.

فجيناتنا متشابهة وأمراضنا متشابهة , وألواننا مختلفة وأفكارنا ومداركنا ولغتنا كذلك , لكننا نعمل بقلب واحد نحو هدف واحد , ولنا قبة واحدة وإله واحد ونبي واحد.

فلماذا ننسى كل هذا وذاك ونتصاغر في خنادق الطائفية؟

نعم إنها سلوكيات مكتسبة نتعلمها , ولنرفض ما يُشجعها ويُعلمها.

وعلى القيادات السياسية والدينية والإجتماعية , أن تمنع التعامل بمفرداتها وتمقتها بقوة , لأنها تمثل الخسارة والدمار والثبور , والضياح للجميع بلا إستثناء.

وفي العديد من المجتمعات المتقدمة يحاسب القانون على أي تصرف , يتصل بالتمييز ما بين الناس أيا كان نوعه.

فلماذا لا تكون عندنا قوانين تشبهها!!؟

\*الطائفة من الشيء: جزء أو قطعة منه , والطائفية تعني تقطيع الشيء الواحد إلى أشياء متماحقة!!

"أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لأدم وآدم من تراب. أكرمكم عند الله أتقاكم..."

"ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم"

جيناتنا متشابهة وأمراضنا متشابهة , وألواننا مختلفة وأفكارنا ومداركنا ولغتنا كذلك , لكننا نعمل بقلب واحد نحو هدف واحد , ولنا قبة واحدة وإله واحد ونبي واحد.

فلماذا ننسى كل هذا وذاك ونتصاغر في خنادق الطائفية؟

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa322-120222.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاما من الضجيج... 19 عاما من المنجزات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 ( الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة )

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>